

مقدمة كتاب: مجتمع الطوارق في عالم العولمة*

ترجمة: عبدالرحمن الحُرْمِي

الإفادات

بالنظر إلى ما وراء الموضوعات التقليدية، والتي تشمل الإرث التاريخي والاستعماري، نحن مهتمون أكثر بالتغيرات الحديثة متعددة الأبعاد، والتي تؤثر على بل وتهدد سكان الصحراء الكبرى من البدو، والمقيمين وعابري الحدود. إلى أي حد يصبح الطوارق عالميون؟ كيف هي حياتهم في مرحلة التحول هذه؟ ماذا تعني العولمة لمجتمع قبلي ينتشر بين عدد من الدول، ومتأثر بالأفكار الأوروبية، والإمريكية، والإفريقية، والعربية، ويستوطن المنطقة الفاصلة ما بين منطقة الساحل، وشمال إفريقيا.

"الطوارق يتحركون نحو العالمية" هذه كانت الفحوى الرئيسة للمؤتمر العالمي المنعقد بأكاديمية العلوم النمسوية في فيينا خلال الفترة ما بين 31 مايو و2 يونيو 2007م. بودنا أن نشكر أندري جنغريتش من معهد الأنثروبولوجيا الاجتماعية في أكاديمية العلوم النمسوية، وتوماس فيليتز من قسم الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية في جامعة فيينا، وإدارة النفط والمعادن النمسوية في ليبيا لرعايتهم المادية. إذ أن دعمهم السخي جعل دعوة مجموعة من الباحثين الشباب المستجدين وكذلك المخضرمين أمرا ممكنا، وهم: ديدا بادي (الجزائر)، وناديا بيلاليمات (فرنسا)، وأنيماي بومان (هولندا)، وأندري بوجو (فرنسا)، وجيريبي كينان (بريطانيا)، وجورج كلوت (ألمانيا)، وبازليكوك (هولندا)، وسارة لونا سيك (سلوفينيا)، وفريدريك ميلوت (فرنسا)، وبينيديتا روسي (بريطانيا)، وماركو شولز (ألمانيا)، وجيرد سبيتلر (ألمانيا). وأما أليساندرا جيوفريدا (بريطانيا)، وسوزان راسموسن (الولايات المتحدة) فلم تتمكننا من حضور المؤتمر، ولكن ساهمتا

*

Tuareg Society Within a Globalized World, published in 2010.

مجتمع الطوارق في عالم العولمة، نُشر في 2010 م.

في هذا الكتاب. نشكر كل المشاركين على حضورهم، وعلى نقاشاتهم المفعمة بالحيوية، وكذلك على التواصل المثمر الذي نتج عن المؤتمر. كذلك نود التعبير عن بالغ شكرنا لوالتر دوستال لكلمته الافتتاحية الشيقة في المؤتمر. ونشكر أيضا الزميلة سابين ديكليفا التي قدمت مقالة لهيلين كلودوت خواد كعنوان رئيس. ونشكر كذلك كل الطلاب من قسم الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية في جامعة فيينا الذين حضروا المؤتمر وأسهموا برودود فعل شيقة تجاه الأوراق والنقاشات. أخيرا وليس آخرا نشكر أكيدما إيفاد، والحسيني إيبرا، وهم من طوارق النيجر (إيماجن)، واللذان يعيشان حاليا في النمسا، لمشاركتهم في المؤتمر.

الإملاء والمصطلحات

مصطلح الطوارق يشير إلى تسمية أجنبية مهمة جلبت إلى اللغات الألمانية، والفرنسية، والإنجليزية. فالمجتمع الذي يسكن أغلب الصحراء الكبرى ومنطقة الساحل يسمى نفسه "إيموهاغ" في الجزائر وليبيا، و"إيماجن" في النيجر، و"إيموشاغ" في مالي وبوركينا فاسو. ولأن هذه التسميات المختلفة ناشئة عن تحولات صوتية في اللهجات؛ فإنه من الصعب الإتيان بمصطلح موحد مناسب. وهناك نزعة حديثة متبناة في الأنثروبولوجيا تتحدث عن "كُلِّ تَمَاشُقْ"، الناس الذين يتحدثون "تماشق". هذه التسمية لديها نزعة استثنائية مع ذلك، لما كان جزء كبير من المجتمع يتحدث "تماهق". أيا يكن للتعامل بمصطلح شامل، ولتجنب تسمية "الطوارق" قدر الإمكان؛ فإننا نميل إلى استخدام تسمية "كل تماشق". وعلى كل حال فإن كُتَّاب الفصول المختلفة للكتاب اختاروا تسميات محلية من منطلق جوانب البحث الخاص بهم.

تملية "تماشق"/"تماهق" تواجه مشاكل مماثلة. فشارل دوفوكوتناول لهجة الجزائر في قاموسه، بينما بريس، والأوجلي، ومحمد تناولوا لهجة النيجر في قاموسهم. وأما سودلو فقد تناول لهجة بوركينا فاسو وأجزاء من مالي. وكل لغوي منهم استخدم حروف ورموز خاصة في الإملاء. في هذا الكتاب لن نستخدم أي رموز أو حروف خاصة من أجل ضمان قراءة سلسة وسهلة؛ فمثلا من أجل الصوت "غ"؛ فإننا نستخدم الحرف "ǧ" بدلا من حرف تيفيناغ "ⵓⵎⵓⵛⵓⵎ" المستخدم عادة.

أخيرا بودنا أن نشدد على أن المصطلحات ذات المنظور الأوروبي، مثل: "النبلاء"، و"الأتباع"، و"دافعوا الإتاوة" أو المفاهيم السياسية المفروضة "كالاتحادات"، والتي تستخدم مرة تلو أخرى في الأدب، قد استبدلت في هذا المجلد بأسماء من منظور كل تماشق أنفسهم. إذا أن واحد من المغازي الأساسية لمؤتمرنا كان محاولة عزل الإرث الاستعماري، والذي لا يزال حتى الآن مشاهدا من خلال استخدام المصطلحات المشتقة عادة من منظور أوروبا العصور الوسطى.

الطوارق يتحركون نحو العالمية: مقدمة

إينيس كول وأنجا فيشر

الكثير من كل تماشق في الصحراء الكبرى ومنطقة الساحل أصبحوا مرغمين على الاستقرار؛ لكونهم مجبرين بشكل متزايد على التحول من نمط حياة بدوي إلى نمط مدني خلال العقود القليلة الماضية. بالإضافة إلى ذلك، تدفعهم السياسات الدولية الخاضعة للأهواء لعبور الحدود الدولية دون أوراق ثبوتية أو وثائق. كذلك جعلت المصالح الدولية، وعقوبات الاتحاد الأوروبي، والعديد من المحاولات المحلية والخارجية لفرض الهيمنة السياسية الحياة البدوية أمر عسير. كذلك التغيرات الجيوسياسية الأخيرة كان لها تأثير عميق على سكان الصحراء الكبرى ومنطقة الساحل، إلا أن بقية العالم تجاهلم. وتتحول الصحراء الكبرى ومنطقة الساحل أكثر فأكثر إلى بوابة للسياسات الدولية والمناورات الاقتصادية. لذلك ينبغي أن يتحلى الأنثروبولوجيون بمسؤولية تبين الظروف السياسية والاقتصادية الصعبة التي يواجهها هؤلاء الناس لجمهور أوسع. وقد أعطي المساهمون في هذا المجلد كامل الحرية لتناول كل تماشق من مدى واسع من المحاور، والزوايا، والجوانب. إذ أن هدفنا من هذا الكتاب هو التعريف بقوم يعيشون في مناطق صحراوية في وسط الصحراء الكبرى وعلى أطرافها في منطقة الساحل في سياق الترابط العالمي، مقترحين عالم مليء بالحركة، والتمازج، والتواصل، والروابط، والتفاعل والتبادل الثقافي المستمر. فمن ناحية تعد التنقلات المعقدة والاتصالات في التيارات الاقتصادية والثقافية أمرا يميز العالم اليوم، فإننا من ناحية أخرى نواجه حدودا إقليمية ودولية أكثر قوة ومناعة. وكل تماشق كمجتمع عابر للحدود محصورين بين كل ذلك. وتعد الصحراء الكبرى ومنطقة الساحل في موقع هامشي بالنسبة للتيارات العالمية. وجغرافيا مناطق كل تماشق بعيدة عن مراكز العالم، بل وحتى بعيدة عن مراكز الهامش، الذي هو التصنيف الذي تقع ضمنه المدن الشمال إفريقية وشبه السواحلية.

لذلك فإن كل تماشق يستوطنون موقع هامشي داخل الهامش. وبينما هم يتأرجحون ما بين الاعتراض والتقبل، إلا أنهم وجدوا طرقا عديدة للتعامل مع الشبكات العالمية، والأمثلة على ذلك موجودة في هذه المجلد. من خلال عنوان هذه المقدمة نريد التأكيد على ثلاث نقاط. أولا، كلمة "الطوارق"، والتي تستخدم في الأدب الأنثروبولوجي، إنما هي تركيب استعماري، لذلك في هذا المجلد نفضل هجر التسميات الأجنبية والتركيز على المصطلحات الذاتية. وبذلك نحن نعالج المقاربة البالية التي تستثني البدو من عالم العولمة وتقرنهم بالمجتمعات المضمحلة. ونرغب في التركيز على التحول المحلي والانخراط الفعال باعتبار كل تماشق منضوين تحت المشهد العالمي.

ثانيا، كلمة "يتحركون" تلمح بأننا نتعامل مع ونشارك في نقاشات عالمية. وفي السنوات الأخيرة كان كل تماشق بدوا، ومقيمين، وعابري حدود يتعاملون بشكل نشط مع التأثيرات الخارجية. والتحرك يعني التمثيل، والتفاوض الفعال ضمن الفضاء العالمي. ولطالما كان التنقل عامل مهم للنجاة باستمرار في الصحراء الكبرى. والأشكال الحديثة للتنقل تذهب أبعد من تحركات البدومع قطعانهم، وتتحدى الولاءات والسياسات القومية في شكلها المحلي، والإقليمي، والعالمى .

ثالثا، من خلال حس "عالمى" نرغب في التأكيد على أن الصحراء الكبرى ليست منطقة معزولة عن التأثيرات الخارجية، بل تعد مساحة تحول، ووكالة، وحركة للناس والأفكار والسلع والتي تحفزها وتنشطها الدوافع الإقليمية والعالمية. والتشابك العالمى يمكن أن يكون له تأثيرات متعددة؛ لأن مجتمع كل تماشق عبارة عن تركيب متباين من العناصر مع تنظيم لأنماط العيش والمشاركة بناء على المكان والزمان الخاص بكل فرد. والترابط العالمى يعنى أكثر من مجرد تصاعد الدوائر السياسية والثقافية والبيئية. والعولمة هي عملية تسريع وإبراز التجربة المتغيرة في الزمان والمكان.

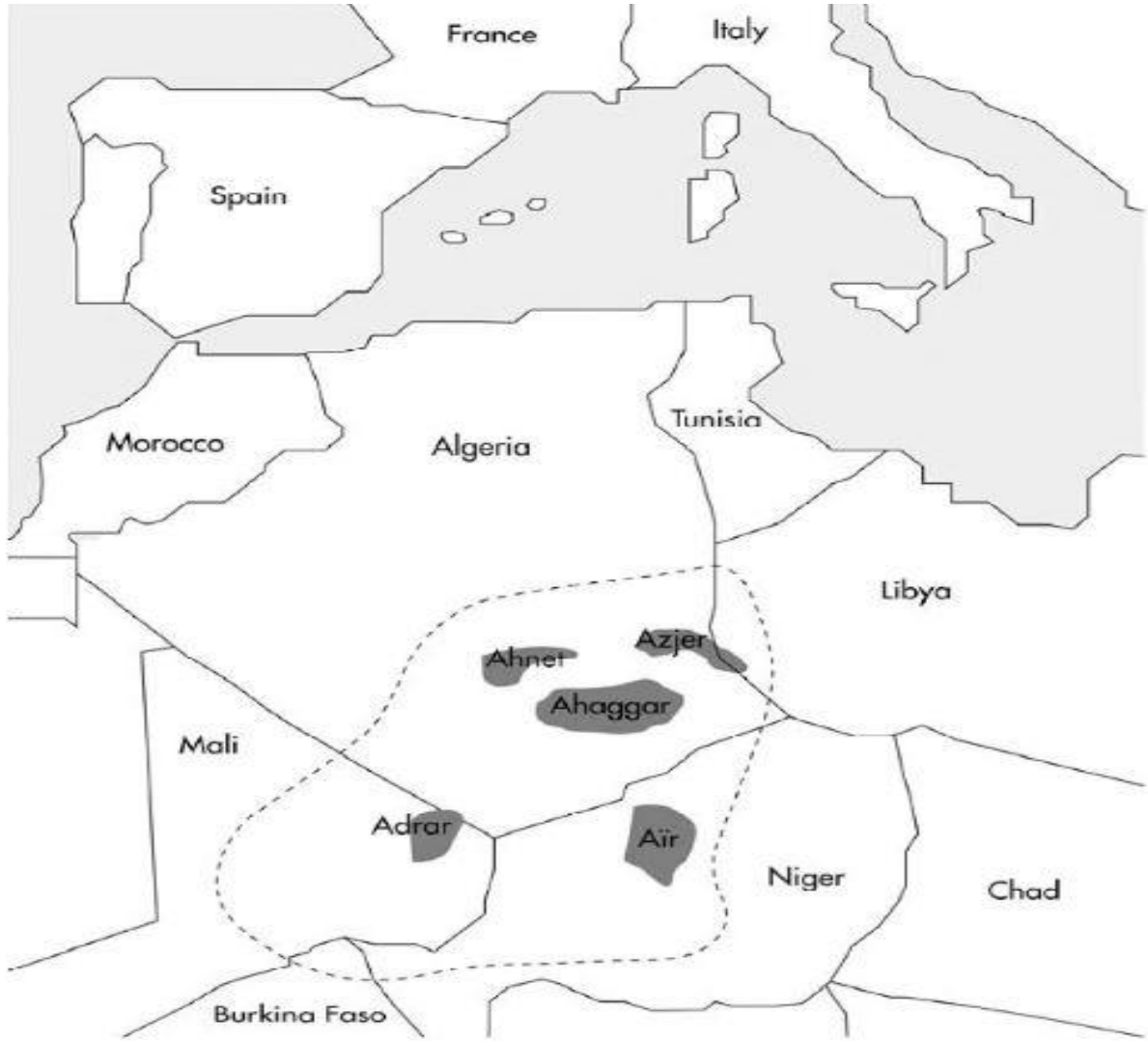
وقد أصبح الانكماش في الحيز وضيق الوقت واضحين بين كل تماشق خلال ثورة 2007 م في النيجر، عندما نشر الثوار فلما لكل مهماتهم على الإنترنت. وصار بإمكان الناس حول العالم المشاركة افتراضيا في الهجمات التي نفذها الثوار. وقد جعلت أنماط الاتصال والمعلومات المتطورة مجتمعة، مع أشكال تنقل أكثر عقلانية الانخراط أمرا ممكنا لكل تماشق بشكل أكثر فعالية مع العالم المحيط.

مع ظهور الإنترنت وأقمار الاتصالات واستخدام أكبر لسيارات الدفع الرباعي، أصبح كل تماشق قادرين على تأسيس فضاء تمثيلي جديد في وسط الصحراء الكبرى.

وهذه الاستراتيجيات الجديدة غالباً ما تذهب أبعد من الولاءات الوطنية، ولكنها لا تعارض أو تقوض اقتصاداتها. "على النقيض من ذلك، تقدم مساهمات معتبرة للاقتصادات الثانوية، عن طريق معادلة عدم الاتزان في الأنظمة الوطنية". وهذه الامكانيات الجديدة تخرج الصحراء الكبرى ومنطقة الساحل من موقعها الهامشي، وتجعل المنطقة بأكملها أقرب قليلاً إلى العالم. وهذا التطور يمكن أن يذهب أبعد من ذلك؛ فالصحراء الكبرى ومنطقة الساحل تتحولان إلى ملعب سياسي واقتصادي، حيث يتطلع اللاعبون الدوليون لمصادر جديدة من أجل تلبية الاستهلاك المتزايد في الغرب.

قبل تقديم وصف موجز للفصول والمواضيع في هذا المجلد، قد يكون من المفيد ذكر الخطوط العريضة لأهم الأحداث في التاريخ السياسي لهؤلاء الناس. حيث يعيش كل تماشق في وسط الحراء الكبرى وعلى أطرافها في منطقة الساحل في المنطقة الواقعة ما بين التأثيرات المغربية، والعربية، والغرب إفريقية. وتقدر الوكالات الرسمية تعدادهم بمليون ونصف المليون نسمة، بينما يعتقد كل تماشق أنفسهم أن هذا الرقم يقترب من الثلاثة ملايين. والاختلاف لا يستند إلى أي إحصاء سكاني حقيقي، ولكن يعتمد على الرهان السياسي ممثلاً بالديموغرافيا العرقية في الدول الإفريقية المعنية بالمسألة. وحتى بداية الحقبة الاستعمارية، كان كل تماشق يتمتعون باستقلال سياسي تام، وقد تفاعلوا بنجاح مع المجتمعات المحيطة بهم.

هناك خمسة جبال تعمل كنقاط التقاء مركزية في الصحراء الكبرى، وحولها تشكلت اتحادات قبلية من كل تماشق. وهذه الجبال الخمسة تشكل زوايا متوازي أضلاع افتراضي. وهي: أهقار في الجزائر، وهو جبل بركاني شامخ في وسط الصحراء الكبرى، يعد موطن "كَلْ أَهْقَار"، سكان هذا الجبل. على الشرق منه، تاسيلي نازجر وهي هضبة ضيقة مرتفعة تقع بين الجزائر وليبيا، يسكنها "كَلْ أَزْجَر". وأما جبلاً أهنت وموئديري في الشمال الغربي بالنسبة لجبال أهقار فهناك حيث يستقر "تايطوق" و"كَلْ أهنت". وإلى الجنوب جبل آير في النيجر، والذي هو استمرارية لذات السلسلة الجبلية، ويعد موطناً لـ"كَلْ آير". وأما جبل أضاع إن إيفوغاس، الأصغر من بينها جميعاً، فهو مركز "كَلْ أضاع" في مالي. وفيما بعد استقرت الاتحادات القبلية الأخرى في منطقة الساحل، وتضم: "كَلْ أزواد"، و"كَلْ قِرس"، و"كَلْ دينيق"، و"إوَمِيدَن"، و"كَلْ أترام" أو "كَلْ تادمِكت".



رسم لمناطق الطوارق في الصحراء الكبرى ومنطقة الساحل (من كتاب أنجا فيشر، البدو في الصحراء: العيش في أقصى الظروف، برلين: الناشر رايمر، 2008 م.)

وقد أحدث توغل الجيوش الأوروبية في الصحراء الكبرى في منتصف القرن التاسع عشر، تغييرات عميقة في التركيب الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي لكل تماشق. فالقوات العثمانية، والفرنسية، والبريطانية، والإيطالية، دخلت وسط الصحراء الكبرى من جهات مختلفة، وسيطرت على الجبال الخمسة، وفرضت إدارتها الاستعمارية. وقد تم تمزيق الحدود المرنة بين مجموعات كل تماشق المختلفة، وأقيمت حدود استعمارية جديدة مع توجه لخدمة التوسع الاقتصادي البحت للمصالح الأوروبية.

لاحقا بعد انتهاء الاستعمار، واستقلال الدول الإفريقية في ستينيات القرن العشرين، تم ترسيم حدود منيعة، في الصحراء الكبرى ومنطقة الساحل، والتي تُرى كعلامة جلية للدولة الحديثة. وبذلك سُردم كل تماشق بين خمس دول مختلفة تماما بنظم تعليمية متباينة، واقتصادات متنافسة، وأيديولوجيات سياسية متعادلة. وهذه الدول الخمس المصطنعة - النيجر، والجزائر، وليبيا، ومالي، وبوركينا فاسو- لم ترث الحدود الاستعمارية وحسب، ولكن أيضا النموذج الأوروبي للدولة والديمقراطية. وأبقت هذه الدول الحديثة مراكز السلطة فيها آلاف الكيلومترات بعيدا عن مناطق كل تماشق في كل من نيامي، والجزائر، وطرابلس، وباماكو، واغادوغو على الترتيب.

وهذه المجموعات السياسية الحديثة، والمبنية على النموذج الغربي للأمة والدولة، قد أنتجت نوعا جديدا من النزوع للمناطقية. وفي كل واحدة من هذه الدول، تقع المناطق الصحراوية التي يتردد عليها البدوي في موقع هامشي؛ ولهذا السبب في الصحراء الكبرى يُنظر للدول حديثة النشأة، على أنها آلات لخلق الأقليات، والتي يتم إبعادها نحو هوامش المركزيات الجديدة المستتبة والمتحضرة، ومن ناحية أخرى فهذه الأقليات معزولة عن أقطاب جذبها التاريخية.

ولم تُظهر هذه الدول الوليدة أي اعتبار للعدالة الاجتماعية، والسياسية، والمناطقية، لكل تماشق والمجتمعات الأخرى كالأمازيغ (إمازغن)، ولكن في واقع الأمر أسست لتمييزهم؛ لأن العضوية والانتماء الآن أصبحا للوطن، وبذلك أصبح كل تماشق أقليات مجزأة حتى في مناطقهم، لذلك، يتحدث المرء بشكل منفصل عن "طوارق الجزائر"، أو "إيموهاغ ليبيا"، أو "كلّ مالي".

وهذا الانقسام السياسي تسبب في انقسام لغوي أيضا. فبينما كُلّ تماشق في البادية يتحدثون لغتهم، فإن أولئك الذين يعيشون في المدن مجبرين على التواصل بالفرنسية، أو لغة البامبارا، أو الهوساوية، أو العربية. وإذا لم يلجأوا إلى هذه اللغات، ويتكيفوا مع العادات المحلية؛ فإنهم على الفور يخسرون مكانتهم المتزعزعة أصلا في البيئة السياسية أو الاقتصادية. لذا فإن كل تماشق في العصر الحاضر مجبرين على ابتكار استراتيجيات جديدة؛ للتغلب على الانهيار الجذري في نظمهم التقليدية.

ويفارق تطور جديد الوضع الحالي لكل تماشق؛ فإلى حد الآن القوى الاستعمارية السابقة، تحديدا فرنسا، حاضرة في الصحراء الكبرى، وتعمل خلف الكواليس كقريب سياسي. أما الآن فهناك قوى جديدة، مثل، الصين والولايات المتحدة دخلت على الخط وتريد الانضمام إلى التكالب على الموارد الطبيعية والمواد الخام

غير المتجددة والتي تصبح نادرة في دولها. فوجود النفط والغاز في ليبيا والجزائر، واليورانيوم في النيجر أحدث مشكلات كبيرة، حيث قاد في 2007 م إلى ثورة اندلعت بين كل تماشق في النيجر، تبعها بعد ذلك بقليل ثورة كل تماشق في مالي. ويواجه كل تماشق ظروف عالمية جديدة كلياً، والتي تتحدى مجدداً مجتمعهم. وفي هذا الكتاب نرغب في تناول العواقب الأخيرة للتأثيرات العالمية على مجتمع كل تماشق. إذ نهدف إلى وضعهم في فضاء عالمي، ودراسة حياتهم في الصحراء الكبرى في مرحلة التحول هذه على المستوى النظري، والعملي، والتاريخي.

الفصول الثلاثة الأولى في القسم الأول، "إلى أين تتجه أنثروبولوجيا الصحراء الكبرى؟" توضح اتجاهات جديدة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية للمنطقة، وتركز على مقاربات جديدة في البحوث حول البدو. حيث تدرس أنجا فيشر الوضع الحالي للبدو، وتناقش المقاربات النظرية الأخيرة. إذ تتساءل عما إذا كان مفهوم البداوة ما يزال مناسباً في عصر العولمة، وتحاجج ذلك، من خلال تخطي المركزية الأوروبية في بداوة ما بعد الحداثة، ويمكن للمرء محاولة تطوير مقاربة شاملة جديدة للبداوة في الصحراء الكبرى. وأما أليساندرا جيوفريدا فتستكشف التصنيفات المختلفة للترحال والاستقرار في الصحراء الكبرى ومنطقة الساحل. حيث ترى أن ترحال كل تماشق يعد نظاماً واستراتيجية، وأن دراسة الترحال بمصطلحات شمولية تتخطى الحياة الرعوية يمكن أن يساعدنا في فهم المرونة البنوية والتغير في مجتمعات كل تماشق الحالية. وينظر بازليكووك إلى الكيفية التي تؤثر بها الرأسمالية الثقافية والاجتماعية بشكل حاسم في الطرق التي من خلالها يشارك هؤلاء الناس في عالم متحضر ومتعولم. ويرى أن العنصر الأساسي في تشكيل مشاركة المجموعات والأفراد في أنماط العولمة وخلق بيئة ذات تعددية ثقافية وعرقية، إنما يوجد في شكل، وتركيب، وإمكانية الشبكات البشرية أكثر مما هو في نمط الترحال.

يربط المساهمون في القسم الثاني - "من الماضي إلى الحاضر: نقاشات مستمرة" - العوامل التاريخية بالتغيرات الحديثة التي سببتها العولمة، والتي قادت إلى النقاشات المستمرة حول العبودية، والطبقات الاجتماعية وردود الفعل تجاه التأثيرات الأجنبية. حيث تحلل جيرد سبيتلر العلاقة ما بين اللباس والهوية عند "كل أوأي"، وتتساءل عما إذا كان "كل أوأي" في بلدة تيميا يمتلكون حساً أكبر من الأصالة أكثر من المجموعات الأخرى، وعما إذا كانت السلع الأجنبية مهمة لهويتهم أم لا. في حين يمعن ديدا بادي النظر في الطبقات الاجتماعية التقليدية، ومن خلال تتبع مراحل الاستقرار في الجزائر، يوضح إلى أي حد يؤثر التغير في حقوق

مكليه الأراضي على الطبقات الاجتماعية؛ ويتعمق أيضا في أصول البنية الثنائية التي تقسم كل تماشق إلى نبلاء وأتباع. وأما بنيديتا روسي فتقدم وصفا شاملا مفصلا لمكانة إيكلان، العبيد السابقين، وتركز على تحولات التسلسل الاجتماعي منذ عام 1850 م وحتى العصر الحاضر. كذلك تدرس التحولات المعرفية في المصطلحات، والهوية، والمكانة، وتشير إلى العشرين عاما الأخيرة والتي حدث خلالها الحراك السياسي للعبيد. يعالج القسم الثالث من الكتاب – "قيم وأعراف متنوعة" - القيم والأعراف المتغيرة. حيث تركز أنيماري بومان على الزيجات، ومهورها بين العبيد في بوركينا فاسو. وتناقش المهور في العرف التقليدي، وتشير إلى مسائل كالخصوبة، والعمالة المنزلية، والجنس، وتطرح السؤال المثير عما إذا كان تقديم المهر ماليا بدلا من المهر العيني يضعف تمثيل النساء، ويحول مؤسسة الزواج إلى شكل حديث من العبودية. في حين تستكشف سوزان راسموسن المفاهيم المتغيرة عن الجسم، تحديدا السمنة الأنثوية أو الحس الجمالي لدى كل تماشق في مالي. وتركز على الصلات ما بين الأفكار المحلية والعالمية، وتتساءل إلى أي حد تغيرت في المجتمعات القروية، وفي السياق المدني. وأما إينيس كول فتتناول جاذبية ليبيا "إيشومار (الثوار)" المدفعين من مالي والنيجر، وسياسة القذافي الوطنية لجذب الشباب البدو، والعلاقات المعقدة بين السكان المحليين، وهؤلاء القادمين الجدد. علاوة على ذلك، تصف كيف أن صور الانتماء والاستقرار المتغيرة، تؤثر على حركة "إيشومار"، وتُحول "إيشومار" المستهترين إلى "إيماجن (كل تماشق)" راشدين. وأما ناديا بيلاليمات فتركز على الأسلوب الموسيقي "القيثارة"، وكيف أن العولمة منذ سبعينيات القرن الماضي وحتى بدايات القرن الواحد والعشرين أثرت في مواضيع الأغاني، وفي مناسبات الحفلات الغنائية. وتذكر كذلك أمثلة لفرق "إيشومار" المحلية التي دخلت المشهد الموسيقي العالمي. وأما ماركو شولز فيصف كيف أن كل تماشق يصبحون منخرطين بفاعلية أكبر في السياحة، وما هي الاستراتيجيات، والموارد التي يعتمدون عليها للنجاح. ومن خلال كونهم عارفين بالعالم الحديث؛ فإن هؤلاء الناس يخلقون ثقافة ثانوية خاصة بهم ضمن المجتمع، من خلال المزج ما بين العناصر الحديثة، والتقليدية لتشكيل مزيج ثقافي فريد .

ويتصدى المساهمون في القسم الأخير من الكتاب – "الصحراء الكبرى: ملعب عالمي" – لحقيقة أن الصحراء الكبرى ومنطقة الساحل تصبحان أكثر فأكثر مسرحا للاعبين الدوليين. إذ تصف سارة لونا سيك علاقات كل تماشق مع الأوروبيين والمعاني والتصورات الملتبسة التي بناها كل تماشق عن هؤلاء المسمون "إيكوفار (الكفار)".

وتركيزها ينصب على معنى التنمية بدراسة مشاريع التنمية على المستوى الشخصي من خلال روايات، وآراء، وتعليقات أناس كانوا منخرطين في هذه المشاريع. وأخيرا يتناول جريمي كينان الأوضاع الأخيرة المتأزمة في الصحراء الكبرى، والثورة التي اندلعت في شمال النيجر في فبراير عام 2007 م. وبعد أن يصف أسباب الثورة، ينتقل للحديث عن "الحرب العالمية على الإرهاب"، والتي شنتها الولايات المتحدة بالمشاركة مع القوات الأوروبية والصينية، ومناورات العديد من المخابرات السرية لنيل النفوذ في الصحراء الكبرى ومنطقة الساحل، والوصول إلى موارد النفط واليورانيوم.

وبذلك تصف الفصول المختلفة لهذا الكتاب حالة الغالبية من مجتمع كل تماشق. فهو مجتمع يجد فيه المرء الأفراد يتبنون استراتيجيات مختلفة للعيش، وفيه البداوة تتعايش جنب إلى جنب مع كل أنماط الحياة المستقرة، وفيه أيضا تفرض التحركات الدولية عقوبات محلية قاسية، وفيه كذلك تتصادم الانتماءات القبلية مع الولاءات الوطنية، وفيه أخيرا يتبنى الأفراد عددا من الاستراتيجيات سواء لتجنب التأثيرات الخارجية، أو لمجرد الانضمام للحراك العالمي.